الإيمان باليوم الآخر

د. محمد بن لطفي الصباغ

تاريخ الإضافة: 9/5/2010 ميلادي - 25/5/1431 هجري

الزيارات: 17480

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيِّد الأولين والآخرين وخاتم ال
وصحبه ومَن دعا بدعوته إلى يوم الدين، يوم لا تملك نفس لنفسٍ شيئًا والأمر يومئذ لله.

وبعد:

فقد سأل جبريلُ - عليه السلام - رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - على ملأ من الناس ف
الإيمان، قال - صلوات الله وسلامه عليه: ((أن تؤمنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخ
خيره وشرِّه))[1].

فالإيمان باليوم الآخر إذًا رُكْن من أركان الإيمان، ومَنْ يكفر به فقد وقع في الكفر والضلال البعيد
﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: 136

والبعثُ في ذاك اليوم حقٌّ؛ قال الله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ
بَنَانَهُ ﴾ [القيامة: 3، 4]، وقال سبحانه: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُو
115]، وقال - جلَّ جلاله: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ
عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: 7]، وقال سبحانه: ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ
[الحج: 7]، وقال - عز وجل: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَ
الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: 78، 79].

إن حياة الإنسان لا تنتهي بموته في نظر الإسلام، كلا بل موتُه انتقالٌ من حياة معروفةٍ لها صفا
بدقَّات القلب وانتظام الأجهزة إلى حياةٍ أخرى يدعونها بالحياة البرزخيَّة، ولها بدايةٌ تبدأ بموت الإ

وتمتدُّ إلى يوم البعث عندما يُنفَخ في الصور.

وهذه الحياة لا نستطيع أن نفصِّل القولَ فيها إلا بمقدار ما تمدُّنا به النُّصوصُ الدينية؛ لأن ذلك والإيمان بالغيب من ركائز الإيمان؛ قال الله تعالى: ﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: 1 – 5].

والحياة الثالثةُ: هي التي تبدأ بنفخ الصور ولا نهاية لها، وهي الحياةُ الآخرة الأبديَّة، وفيها الحشرُ و على الصِّراط، والمصير إلى النعيم المقيم أو إلى الجحيم الأليم.

هذه الأنواع الثلاثة من الحياة.

أما الحياةُ الدنيوية فمدَّتها قصيرة محدودة بستين أو سبعين من السنين، ولا تكاد تتجاوز المئةَ إ قليلٍ من الناس.

ونظرة في كتُب التراجم، وفي الصحف التي تنْشُر أخبار الوَفيات تؤَكِّد ذلك.

فالعاقل مَن اغتنم قوَّته وصحَّته وعمره، فسارَع إلى الخيرات والطاعات؛ قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: 133].

وما أجملَ معنى هذا الحديث: ((الكَيِّسُ مَن دان نفسَه وعمل لما بعدَ الموت، والعاجزُ مَن أتبع ن على الله الأماني))[2]!

أجل، إن العاقل مَن عمل لما بعد الموت، وبادَر بالعمل الموتَ والمرضَ وما إلى ذلك، فقد روي عليه وسلم – قال: ((بادِرُوا بالأعمال سبعًا: هل تنتظرون إلا فقرًا مُنسيًا، أو غنًى مُطغيًا، أو هَرَ مُجهزًا، أو الدجَّال فشرُّ غائب يُنتظَر، أو الساعة، والساعةُ أدهى وأمرُّ))[3]، قال الله تعالى: ﴿ ا مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ [الروم: 54].

والدُّنيا سريعةُ الزوال، ما إن يستمتع بها المرءُ حينًا حتى تزول، وهو في أشدِّ الحاجة إليها؛ قال
مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ
الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَ
بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: 24].

ولا تستحقُّ هذه الدنيا من العاقل الاهتمامَ الكبير بها، والانشغال بها عن عمل الآخرة، قال تعا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُ
يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَا
الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: 20].

وفي الناس مظلومون مُستضعَفون، لا يستطيعون أن يواجهوا ظالميهم ولا أن ينتصفوا منهم، ولك
يحزنون إن كانوا مُؤمنين، وتراهم أُباةً للظلم ولو في أعماق أنفسهم، مُوقنين أنهم سيأخذون
القيامة؛ قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * وَأَ
إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: 17، 18].

ويبلغ الظالِمُون في ذاك اليوم من الذُّلِّ والخِزْي والفزع الغاية؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ
الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ
﴾ [إبراهيم: 42، 43].

وقد ذكر الله – تبارك وتعالى – يومَ القيامة في مواطنَ كثيرةٍ من كتابه الكريم، يُحَذِّر عباده من ا
المبين في ذاك اليوم الرهيب الذي ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْ
سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: 2].

فلنُعدَّ لهذا اليوم عُدَّته؛ قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ
بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: 30].

أمَّا الأحاديثُ الواردة في التذكير بنَعيم أهل الجنَّة في الآخرة، وفي التحذير منَ الاغترار بالدُّنيا فكث

فمنها قولُه – صلى الله عليه وسلم: ((يؤتَى بأنعَم أهل الدُّنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبَغ فِ
يقال: يا ابن آدم، هل رأيتَ خيرًا قطُّ؟ هل مَرَّ بك نعيمٌ قطُّ؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتَى بأشدِ
أهل الجنَّة، فيُصبَغ صَبْغةً في الجنَّة، فيُقال له: يا ابن آدم، هل رأيتَ بُؤسًا قطُّ؟ هل مَرَّ بك شِدَّة
والله، ما مرَّ بي بؤسٌ قطُّ، ولا رأيتُ شدَّة قطُّ))**[5]**.

ومنها قولُه – صلى الله عليه وسلم: ((يقول ابن آدم: مالي، مالي! وهل لكَ يا ابن آدم من مال
فأفنيت، أو لبستَ فأبليت، أو تصدَّقْتَ فأمضيت))**[6]**.

ومنها قولُه – صلى الله عليه وسلم: ((لو كانت الدنيا تَعدِلُ عند الله جناحَ بعوضة، ما سَقى
ماء))**[7]**.

فلا قيمةَ لها عند الله، وهي زائلة، والآخرة خيرٌ وأبقى.

وجاء رجلٌ إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسولَ الله، دُلَّني على عمل إذا عملتُه أ
الناس، فقال – صلى الله عليه وسلم: ((ازْهَد في الدُّنيا يحبَّك الله، وازْهَد فيما عند الناس يُحبَّك ال

إنَّ آمال الإنسان أكبرُ من أن تتسعَ لها حياتُه التي يقضيها في هذه الدنيا، وقد صوَّر ذلك رسولُ
عليه وسلم – فرمى حَصاةً بعيدًا، ثم رمى حَصاةً قريبًا، فقال: ((هذاكَ الأمَل، وهذا الأجَل))**[9]**

ومعلوم أن الإنسانَ إذا مات انقطع عملُه؛ لأنَّ الدُّنيا هي دار العمل، والآخرةُ هي دار الجزا
العقاب، ولكنَّ كرمَ الله تعالى أتاح للمؤمن الصالح أن يستمرَّ عملُه بعد موته في حالات ثلاث:
الحالة الأولى: أن يُجريَ صدقةً جارية، يستمرُّ عطاؤها؛ من نحو بناء مسجد أو فتح بئر في طريق
مستشفًى للفُقراء، أو وَقْف عقارات للإنفاق على مأوى للأَيتام والعاجزين من الشُّيوخ والأرامل
أفعال الخير.
والحالة الثانية: أن يُحسنَ تربيةَ أولاده من البنين والبنات، حتى يكونوا صالحين، فيَدْعُونَ لأبيهم بالم
والحالة الثالثة: أن يتركَ عِلْمًا يُنتفَع به؛ من نحو تأليف الكتب العلميَّة النافعة، وتأليف كتب الد
وبيان محاسنه، وكتب الردِّ على الكفرة والملاحدة وشبهات الفرَق المنحرفة؛ قال رسول الله –

وسلم: ((إذا ماتَ الإنسانُ انقطع عملُه إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو عِلْم يُنتفَع به، أو ولدٍ
.[10]

والناسُ اليوم بحاجةٍ ماسَّة إلى أن يُذكَّروا بيوم القيامة، وبأنهم سيُحاسَبون على أعمالهم، إنْ خيرًا
فشر؛ قال تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَ
أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: 1 - 8].

إنَّ كثيرًا منَ الناس في غَفْلة عن ذِكْر هذا اليوم العظيم، وغلبَتْ عليهم الأمور المادية التي
الغربيَّة، وحريٌّ بأهل الفضل والعلم أن يقوموا بالتذكير بيوم القيامة، ذلك لأنَّ المؤمنَ يُطلَب منا
بين الخوف والرجاء، ولا يجوزُ له أن يركَنَ إلى واحد منها فقط، وأخطر الحالَيْن أن يغلبَ عليه الر
المعاصي وهو يرجو رحمةَ الله، وما يزالُ كذلك حتى يُطبَعَ على قلبه - والعياذ بالله تعالى.

إن عليه أن يخشى الحسابَ والسؤال، ويخافَ سوء المصير.

عليه أن يعملَ الصالحات ليفوزَ بالجنَّة، التي هي طَلِبَةُ المسلم ومُبتَغاه، ولقد كان أثرُ طلب الجنة في
كبيرًا جدًّا؛ لقد كان تطلُّعهم إلى الجنة يُهَوِّن عليهم لقاء الموت.

الجنة التي كانت في قلوب الصحابة والتابعين شُعلة تُحَرِّكهم لضرب أعلى أمثلة البطولة في الجهاد
تلك الغاية التي كانت ترنو إليها العيونُ المؤمنة، وتهفو إليها الأرواحُ المشوَّقة في كلِّ زمان وم
العذاب من أجل الحُصُول عليها، ويرَوْنَ المصير إليها أملاً يتراءى لكلِّ مؤمنٍ في حياته.

وما أكثرَ ما كانت الجنة حافزًا إلى الخير والحق، مهما كان في الطريق إليها من المخاطِر والعقبات!

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: انطلق رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وأص
المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم: ((قوموا إلى جنَّة
والأرض))، قال عُمَير بن الحمام الأنصاري: يا رسولَ الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال
وسلم: ((نعم))، قال عُمَير: بخ بخ، فقال - صلى الله عليه وسلم: ((ما يحمِلُك على قولك: بخ

والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكونَ من أهلها، قال: ((إنَّك من أهلها))، فأخرج تَمَرَاتٍ من قَ
منهن، ثم قال: لئن أنا حَيِيتُ حتى آكلَ تَمَرَاتي هذه إنها لحياةٌ طويلة، فرمى بما كان معه من التمر
قُتل[11].

وكان الإيمان باليوم الآخر وبالجنة وبالنار عاملاً يثبِّت المؤمنين على الحق، ويُخَفِّف عنهم ما يعانون
ويجعلهم يتحلَّون بالصبر، كما كان حالُ آل ياسر – رضي الله عنهم – في مكة، وكان رسول الله
وسلم – يَمُرُّ بهم فيقول: ((صَبرًا آلَ ياسر، فإنَّ موعدَكم الجنة))[12].

وعن أبي بكر بن أبي موسى الأشعريِّ – رضي الله عنه – قال: سمعتُ أبي وهو بحضرة العدوِّ يقول
– صلى الله عليه وسلم: ((إن أبوابَ الجنَّة تحت ظلال السيوف)).

فقام رجلٌ رَثُّ الهيئة فقال: يا أبا موسى، أنتَ سمعتَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول
فرجع هذا الرجلُ إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسَرَ جَفْنَ سيفه فألقاه، ثم مشى بـ
فضرب به حتى قُتل[13].

هكذا كان الإيمان باليوم الآخر، وبما أَعَدَّ الله فيه للصالحين المجاهدين من الأجر، وما زال كذلك
إلى أن تقومَ الساعة، فلنعمَل على تذكير أنفُسنا والناس باليوم الآخر.

وصلَّى الله على محمد وآله، والحمد لله ربِّ العالمين

---

[1] رواه مسلم برقم 8، وأحمد 8/27، وأبو داود برقم 4695، والترمذي برقم 2610، وغيره
[2] رواه الترمذي برقم 2459، وابن ماجه 4260، والحاكم 1/57، وفي سنده ضعف، ولكن
صحيح.
[3] رواه الترمذي برقم 2306، وفي سنده ضعف، ولكن معناه صحيح جدًّا.
[4] الزُّرَّاع.
[5] رواه مسلم برقم 2807.
[6] رواه مسلم برقم 2958.
[7] رواه الترمذي برقم 2320.

[8] رواه ابن ماجه برقم 4102.

[9] رواه الترمذي برقم 2870.

[10] رواه مسلم برقم 1631.

[11] رواه مسلم برقم 1901.

[12] أخرجه أبو نعيم في "الحلية" 1 / 1400، من حديث عثمان – رضي الله عنه.

[13] رواه مسلم برقم 1902.